الجوانب التاريخية في أسباب نزول آيات القرآن الكريم

أ.د.عبد الكريم عزالدين صادق الأعرجي
جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات

الملخص

يتطرق هذا البحث (الجوانب التاريخية في أسباب نزول آيات القرآن الكريم)، إلى ذلك الاقتران بين البعض من المرويات التاريخية في السيرة النبوية وعلاقتها بأسباب النزول للآيات القرآنية، وأصبحت تلك المرويات من مصاديق وبيان الآيات القرآنية في تفسيرها، وكذلك أسباب نزول تلك الآيات فضلاً عن ارتباط تلك المرويات التاريخية بمجريات الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم.

Historical Aspect of The Reasons For The Revelation of The Quartic Verses

Prf.Dr.Abdulkarem Uzaldeen S.

University of Baghdad – College of Education for Women

Abstract

This research (the historical aspects of the reasons for the revelation of the verses of the Noble Qur'an) deals with the association between some of the historical narratives in the Prophet's biography and their relationship to the reasons for the revelation of the Qur'anic verses. Those historical narratives of the course of the transcriber and copied in the Noble Qur'an.

المقدمة:

تعتبر الرسالة الإسلامية المحمدية، واحدة من المحطات التاريخية التي غيرت مجرى التاريخ الإنساني، حيث انبثقت تلك الرسالة من الجزيرة العربية معلنة الدعوة إلى التوحيد والدخول في الدين الجديد، وهو الدين الإسلامي الذي نزل على نبينا الرسول محمد (ص).

وسرعان ما انتشرت هذه الدعوة في أرجاء الجزيرة العربية، ثم اتسعت لتشمل أرجاء واسعة من العالم، وتكمن قوة هذه الرسالة وعنفوانها في المبادئ الإلهية والإنسانية التي جاءت بها الرسالة السمحاء من أجل التوجه إلى التوحيد وعبادة الله، وتنظيم حياة الناس، فلذلك كانت الديانة الإسلامية حاضرة بقوة في الفكر الإنساني، للحفاظ والتوازن في أمور الدنيا والآخرة.

وهنالك بعض المرويات التاريخية في السيرة النبوية الشريفة وللرسالة الإسلامية، وقمنا ومن خلال هذا البحث في إيجاد العلاقة الوثيقة بين تلك المرويات التاريخية، وبين أسباب نزول البعض من الآيات القرآنية، حيث أن تلك المرويات التاريخية، أصبحت لنا منهلاً صافياً في معرفة ما جرى

في صدر الإسلام واقتران ذلك بالآيات القرآنية، وأسباب نزولها والذي جاء حسب الحوادث التاريخية آنذاك.

وقمنا من خلال هذا البحث من الاعتماد على كتب السيرة النبوية، وكتب التاريخ الإسلامي، فضلاً عن كتب علوم القرآن والتفسير القرآني.

أولاً. النزول لغة واصطلاحاً:

النزول كلمة عربية شائعة التداول والاستخدام، ونعني بها في اللغة العربية: "**الحلول، وقد نزلهم ونزل عليهم ونزل بهم ينزل نزولاً ومنزلاً ومنزلاً... ونزله تزيلاً، والتنزيل أيضاً الترتيب. والتنزل: النزول في مهلة.. والنزول والصعود والحركة واسكون من صفات الأجسام، والله – عزوجل– يتعالى عن ذلك ويقدس، والمراد به نزول الرحمة والألطاف الإلهية وقربها من العباد**"(١).

وعلم أسباب النزول لآيات القرآن الكريم من العلوم المهمة في العلوم القرآنية، وقد نشأت نتيجة لبحث المفسر عن الظروف بآيات المصحف وعن مناسباتها والأشخاص المعنيين بها زمن من الوحي، وكان المنتظر منها بالخصوص أن تبين تاريخ نزول الآية، حتى يعرف الناسخ من المنسوخ في ما اصطلح عليه (آيات الأحكام)، وحتى يتمكن المفسر والفقيه من تمييز العام والخاص والمطلق والمقيد من الأحكام، ولكن هذا الاهتمام نشأ بعد انقراض الجيل الذي كان شاهداً على الوحي، ولذا كانت الأخبار التي دونت في هذا المضمار مروية عن التابعين أكثر مما كانت مروية عن الصحابة، وكان للقصاص والأخباريين دور بالغ الأثر في تكييفها(٢).

ولذلك فأن كلمة (نزول) تؤدي إلى معنيين متكاملين: معنى أول عاماً مفاده أن النزول هو الانتقال من فوق إلى أسفل، ومعنى ثانياً خاصاً بالقرآن يتمثل في النزول على التدريج، ويؤكد هذا الفهم نزول القرآن منجماً ومفرقاً بحسب ما تقتضيه النوازل والحوادث من أحكام. وقد التمس المفسرون القدامى هذا المعنى الخاص في صيغة (نزل) فعلاً ومصدراً(٣).

وعليه فأن علم أسباب النزول، كان هو أحد العلوم المهمة لعلوم القرآن التي أستند عليها المفسر لتفسير آيات القرآن، كما يتضح لنا أن أبرز الخلافات والرؤى حول التفسير القرآني يعزى في التحقيق من أسباب نزول هذه الآية القرآنية أو تلك، وأن هذا التحقيق هو الذي يعطى الانطباع والتوضيح لدى المفسر القرآني.

وأن أغلب المفسرين يعتمدون على الجوانب التاريخية لأسباب نزول هذه الآيات القرآنية ومعرفة الظروف المحيطة بنزولها حيث أن معظم هذه الآيات مرتبطة بمنظومة تاريخية وثقافية واجتماعية ودينية، وأن أغلب الدراسات في علوم القرآن، قد أخذت حيزاً علمياً وتاريخياً بسبب أهمية القرآن عند المسلمين لمعرفة أحكامه وتعاليمه، فضلاً عن ذلك فأن القرآن هو كتاب الله والذي يتضمن بين دفتيه الكثير من المعلومات أو المعارف المختلفة، ومنها (متباعدة الأغراض من الإلهيات والمعارف، وبدء الخلق والكون، وما وراء الطبيعة، من الروح والملك وأبليس والجن، والفلكيات، والأرض، والتاريخ، وشؤون فريق من الأنبياء الماضين، وما جرى بينهم وبين أممهم، وللأمثال والاحتجاجات والأخلاقيات، والحقوق العائلية، والسياسات المدنية، والنظم الاجتماعية والحربية، والقضاء والقدر، والكسب والأختيار، والعبادات والمعاملات، والنكاح والطلاق، والفرائض، والحدود والقصاص، وغير ذلك[٤].

ثانياً: أهمية دراسة علم نزول القرآن:

هنالك علاقة وثيقة بين نزول آيات القرآن الكريم، والدور المهم في فهم معاني القرآن "**وحل معضلات التفسير في كلا مجالي الأصول والفروع، أنها ترفع النقاب عن وجوه كثير من الآيات نزلت لتعالج مشكلة في وقتها، ولكنها في نفس الوقت ذات وجه عام تعالج مشكلات الأمة عبر الحياة، وربما كان الوقوف على الحادثة الأولى والمناسبة الأولى التي استدعت نزولها، من خير الوسائل لكشف الإبهام عن وجه الآية، إذ فيها الإشارة لا محالة إلى تلك الواقعة بالذات**"[٥]. إذ لا يستخلص معنى الآية القرآنية في المقام الأول من بنيتها اللغوية والتركيبية والسياقية، وإنما يطلب من معارف خارج النص الديني وثق القدامى بصحتها التاريخية وبموافقتها للمعاني القرآنية، وأن التعويل على أسباب النزول في التفسير مختلف من آية إلى أخرى، فقد يتكئ المفسر على سبب النزول ليقرر معنى معيناً تؤديه أداة من الأدوات اللغوية، أو ليثبت فهماً محدداً لعبارة قرآنية أو لتفسير عموم الآية[٦].

ثالثاً: التطور التاريخي لعلم أسباب نزول آيات القرآن الكريم:

من المعروف بأنه وبعد القرن الرابع الهجري، تفاقمت ظاهرة تحريف ووضع الحديث النبوي الشريف، وقد تزامن ذلك مع تطور الجوانب السياسية والمذهبية والطائفية في تلك الفترة التاريخية، وبعد ذلك ظهرت حركة التحقيق والتفسير والدراسات القرآنية المختلفة، ويتضح أن

المؤلفات الأولى الجامعة لعلوم القرآن لم تهتم بأسباب النزول اهتماماً بيناً، ويبدو أن علة ذلك يعزى إلى أن هذا العلم قد أهتم به المفسرون، ولم تكن هناك حاجة إلى تخصيصه بباب في مصنفات علوم القرآن، ولا إلى أفراده بتأليف مستقل بذاته "**ولا نعلم اليوم شيئاً عن حظ أخبار أسباب النزول في أول تأليف محض لعلوم القرآن. فقد ذكر ابن النديم كتاباً ضخماً لم يصلنا لمحمد بن خلف بن المزربان[٧] (ت٣٠٩هـ/٩٢٢م)، بعنوان الحاوي في علوم القرآن، ضم سبعة وعشرين جزءاً**"[٨] [٩] .

ويمكننا القول بأن علم أسباب النزول قد مر بأطوار مختلفة وكالآتي:

الطور الأول: المتعلق بتاريخ علم أسباب النزول حتى القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني.

الطور الثاني: النصف الثاني من القرن الثاني ويمتد إلى آخر القرن الرابع الهجري، وتزامن ذلك مع تدوين المعارف الإسلامية وبإشراف الدولة العباسية، وأن القصد من هذا التدوين هو تنظيم الروايات الشفوية المتداولة وفق ضوابط منهجية وأختيارات معرفية، ويعتقد أن الاستقرار النهائي كان في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، ويعني ذلك أن التفاسير المؤلفة بعد الطبري، والتي أعتنى فيها أصحابها بأسباب نزول القرآن.

الطور الثالث: يتضح ذلك الطور جلياً في القرن الخامس الهجري، وقد استقل علم نزول القرآن بصورة كاملة، فبعد أن كان طيلة أكثر من قرن مندرجاً في أدبيات التفسير القرآني انفصل عنها بدءاً من القرن الخامس، ويعد كتاب (أسباب النزول) للواحدي[١٠] النيسابوري، وهو من علماء القرن الخامس الهجري، أول تأليف كامل مفرد لهذا العلم، ومما يعزز وجاهة هذا الرأي أن كتب التراجم والطبقات والموسوعات والتاريخ، لم نذكر أي كتاب يحمل عنوان (أسباب النزول) قبل الواحدي[١١].

وأن التطور التاريخي لعلم أسباب نزول آيات القرآن الكريم، قد اعتمد في الأساس على الرواة والروايات التاريخية، وأن مدرسة اليمن كانت سباقة لهذه الميزة، إذ انتسب إليها وعدد من القصاص والإخباريين، ومن أبرزهم:

١- عبيد بن شريه الجرهمي[١٢] (ت نحو ٦٧هـ/٦٨٦م)، وينسب إليه كتاب (أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها).

٢- وهب بن منبه الذماري[١٣] (ت١١٤هـ/٧٣٢م)، صاحب كتاب (التيجان من ملوك حمير).

ويرى الأستاذ بسام الجمل، أن هذه المدرسة تتسم بالأمور الآتية:

١- الاختفاء بكل ما هو عجيب وغريب خارج عن المألوف، وعلة ذلك رغبة هؤلاء القصاص والإخباريين في عطف قلوب الجمهور.

٢- لم تكن الحقيقة التاريخية من اهتمامات القصاص البتة.

٣- أسس القصاص والإخباريون صورة للنبي محمد (ص) في سيرته ومغازيه بعيدة عن الصورة التي رسمها له القرآن[١٤].

ووفق هذه المتغيرات التاريخية فقد برزت كتب علوم القرآن تباعاً، ومن أبرز ذلك، كتاب (أسباب النزول) للواحدي[١٥]، وكتاب (البرهان في علوم القرآن) للزركشي[١٦]، وكتاب (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي[١٧].

رابعاً: علاقة أسباب النزول بالتفسير القرآني:

هنالك علاقة وثيقة بين الجوانب التاريخية لأسباب النزول للآيات القرآنية، ومع علم التفسير القرآني، وأن هذه العلاقة تعززت من الناحية التاريخية بعد عملية التدوين والكتابة، والانتقال من مرحلة المشافهة إلى مرحلة الكتابة والتي تتطلب التدقيق والتمحيص في مضمون النصوص القرآنية المختلفة، وقد أشار إلى ذلك صراحة الواحدي بالقول: "**فآل الأمر بنا إلى إفادة المبتدئين بعلوم القرآن، إبانه ما أنزل فيه من الأسباب، إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها وأولى ما تصرف العناية إليها لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها**"[١٨].

ولذلك أيضاً عمل المؤرخ والفقيه والمفسر السيوطي إلى إثبات آية أو مجموعة آيات من القرآن الكريم، ويحدد سبب نزولها، ثم يعرض الرواية التاريخية لهذه الآية القرآنية، ومبيناً رأيه في سند الرواية، وهو عمل يتطلب مهارات معرفية متعددة ومنها معرفته بعلم الرجال وعلم الدراية، ويبدو أن السيوطي يريد أن يبين بأن الرواية التاريخية لها قدسيتها في علوم القرآن، والتي تتطلب أقل تدقيقاً وتمحيصاً في كتب التاريخ العام، ولذلك قال: "**الفت كتاباً حافلاً موجزاً لم يؤلف مثله في هذا النوع سميته لباب النقول في أسباب النزول**"[١٩].

ومن أبرز كتب التفسير هو كتاب جامع البيان في تفسير القرآن، للفقيه والمؤرخ المعروف الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٣م)، وسمي هذا التفسير أيضاً (جامع البيان عن تأويل أي القرآن)، وهو من أشهر كتب التفسير بالمأثور، وهذا التفسير يجمع ما بين الآيات القرآنية وكتب الحديث والروايات التاريخية، وبما أن صاحب التفسير يعتبر من المؤرخين الكبار، لذلك جاء تفسيره وفق التتبع للروايات التاريخية لأسباب النزول، حيث يقوم بسرد أقوال الصحابة والتابعين في تفسيره، فضلاً عن الروايات التاريخية التي تؤيد ذلك التفسير[٢٠]، وأن الملامح العامة الغالبة على تفسير الطبري ما تضمنه هذا التفسير لمجتمع مخصوص في التعامل مع أخبار أسباب النزول، وهو ما يعنينا بشكل مباشر، وكان حريصاً على نقل أخبار أسباب النزول بأسانيدها كاملة وإثبات مختلف سلاسلها، وهذا يعد إلى إدراج تفسيره ضمن التفاسير التاريخية، وكان الطبري لا يبدي رأي ويحكم بالرواية التاريخية، وقدرته على التوفيق بين أسباب النزول للآية الواحدة والجمع بينها، والترجيح والاختيار واستناداً إلى مسالك في التعليل عديدة[٢١].

ومن دون التفاسير القرآنية المهمة والمعتبرة هو تفسير شيخ الطائفة، الشيخ الطوسي (أبو جعفر محمد ت٤٦٠هـ/١٠٥٠م)، وكتابه (التبيان في تفسير القرآن)، وهذا التفسير يعتمد على أحاديث ومرويات أهل البيت عليهم السلام، وكذلك البعض من الصحابة والتابعين، ولذلك فهو يكثر النقل عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد أعتمد عليه كثير من المفسرين من بعده ومنهم الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن ٥٤٨هـ/١١٥٣م)، وكتابه (مجمع البيان في تفسير القرآن)، وهو من كتب التفسير المرموقة، والتي أعتمد مؤلفه على المرويات التاريخية والحديثية لأهل البيت عليهم السلام[٢٢]، وأما بقية خبر سبب النزول ذاتها عند الشيخ الطبرسي، فأن الإسناد فيها متقصر عموماً على ذكر الحلقة الأولى من حلقات رواية الخبر، وقد يهمل الإسناد إهمالاً تاماً، وتتأرجح متون أخبار النزول عنده بين الاقتضاب تارة والإطالة طوراً، والاعتدال طوراً، ويغلب الشكل الأخير على تناول الطبرسي لأسباب النزول[٢٣].

ومن كتب التفسير القرآنية المهمة والمقترنة بأسباب نزول الآيات القرآنية، وفق المرويات التاريخية والحديثة هو كتاب الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين (ت٦٠٦هـ/١٠٢٩م)، في (التفسير الكبير)، وعلى الرغم من أن هذا التفسير هو من أهم التفاسير الكلامية والفلسفية، لكنه اعتمد على ذلك أيضاً على المرويات التاريخية والحديثة، بل هنالك من الباحثين من يرى

"أن مادة أسباب النزول عند الرازي مهمة جداً حجماً ومحتوى، ولعل ما يميز أخبار أسباب النزول ههنا، قلة احتفاء المفسر بنقل أسانيدها كاملة، إذ أنه غالباً ما يقتصر على ذكر الراوي الأول للخبر، ويثبت الرازي أحياناً روايات عديدة لسبب نزول الآية"[٢٤].

ومن التفاسير الرصينة الأخرى، هو تفسير القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٦٧١هـ/١٢٧٢م)، والمعروف (الجامع لأحكام القرآن)، وهو تفسير جامع لآيات القرآن جميعاً ولكنه يركز بصورة شاملة على آيات الأحكام في القرآن الكريم، ونهج المؤلف طريقته في التفسير من خلال عرض آيات الأحكام ووفق ما يحيط بها من أسباب النزول التاريخية، فهو "**يعرض لذكر أسباب النزول، والقراءات، والإعراب، وبين الغريب من ألفاظ القرآن، ويحتكم كثيراً إلى اللغة، ويكثر من الاستشهاد بأشعار العرب"**[٢٥].

ومن التفاسير الشيعية المتأخرة هو كتاب السيد هاشم البحراني (ت١١٠٩هـ/١٦٩٥م)، وتفسيره (البرهان في علوم القرآن)، وهذا التفسير يعتمد في الأساس وبصورة كبيرة جداً على المرويات التاريخية والأحاديث لأئمة أهل البيت عليهم السلام ووفق أسباب نزول تلك الآيات القرآنية، وكان "**المؤلف من الإخباريين الذين اعتمدوا على المأثور في التفسير، وممن منعوا التفسير بالتدبر والتذوق في كلام الله"**[٢٦]، هذا فضلاً عن التفاسير القرآنية الأخرى والمتنوعة.

ومن أجل معرفة التطور التاريخي لأسباب النزول، فلابد من الاهتمام بكتب السيرة النبوية، ومن أقدم هذه الكتب هي سيرة ابن هشام[٢٧]، في كتابه (السيرة النبوية)، وتعد كتب السيرة النبوية من أبرز الكتب المهمة في دراسة الجوانب التاريخية لأسباب النزول، ولذلك جاءت الآيات الواردة في كتاب السيرة النبوية والتي تخص الجوانب التاريخية بأنها لم تنزل بشكل ترتيبي، بل جاءت بصورة متنوعة من الحوادث المختلفة التي تعرض لها النبي محمد (صلى الله عليه وآلم وسلم)، ووفق تسلسلها الزمني، فعندما "**ينظر ابن هشام في ما لقيه النبي محمد (ص) من عنت وأذى من قريش يسوق الآيات التي نزلت من أجل ذلك السبب. ولذلك وجدنا على التوالي أسباب نزول سورة الهمزة (١٠٤)، والآيات (٧٧-٨٠) من سورة مريم والآية (١٠٨) من سورة الفرقان، واعتمد ابن هشام المنهج نفسه عند تناوله الآيات النازلة في (منافقي الأنصار)"**[٢٨].

وقد وردت أحداث السيرة النبوية الشريفة كذلك في كتاب الطبقات لابن سعد[٢٩]، حيث وردت في الأجزاء الأولى لهذا الكتاب، جوانب في السيرة النبوية، وقد تعرض المؤلف إلى أسباب نزول

بعض الآيات القرآنية وفق مسارها التاريخي في موضوع السيرة والمغازي، والملاحظ في ذلك "**أن جل أخبار أسباب النزول في كتاب الطبقات قد أخذها ابن سعد مباشرة من أستاذه الواقدي. وتعلقت أغلب تلك الآيات بالمرحلة المدنية من حياة الرسول. ولذلك فهو يعدد الآيات التي نزلت يوم بدر (٢هـ) مثلاً، وقد بلغت خمساً وعادة ما يقتصر على خبر واحد في تعيين سبب نزول الآية**"(٣٠).

ويعد كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري(٣١)، من أهم المصنفات التاريخية الإسلامية القديمة، وقد تطرق في تاريخه الكبير إلى السيرة النبوية الشريفة والحوادث الأولى في عصر الرسالة، وبما أنه كان مؤرخاً ومحدثاً فقد أهتم بالجانب التاريخي في أسباب نزول الآيات القرآنية، فقد افرد مبحثاً بفصل وبعنوان "**ذكر بما كان من أمر نبي الله (ص) عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل عليه**"(٣٢)، وينتهي بفصل عنوانه: "**ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله، ولم يكن ذلك التحقيق في أخبار أسباب نزول بعض الآيات، إذ أن تناوله جاء في سياق التاريخ لمختلف مراحل النبي (ص)**"(٣٣).

خامساً: المنهج التحقيقي في تاريخية أسباب النزول:

هنالك مناهج علمية ومهنية في منهجية التحقيق في تاريخية أسباب النزول للآيات القرآنية، حيث أن توظيف المرويات التاريخية في أسباب النزول، لابد أن تكون هنالك ضوابط موضوعية في ذلك، ولابد من معرفة المرويات التاريخية الصحيحة من غير الصحيحة والضعيفة.

ومن تلك المناهج هو "**ما تعارف عليه أهل الاصطلاح، من تصحيح الإسناد أو استضافة النقل أو تواتره، مما يقطع معه من صحة الحادثة، لكن هنالك وسيلة أخرى لعلها أدق وأوفق للاعتبار وأكثر اطراداً مع ضوابط دراسة التاريخ أن يكون المأثور في شأن النزول مما يرفع الإيهام عن وجه الآية تماماً ويحل مشكلة تفسيرها على الوجه الأتم، على قيد أن لا يكون مخالفاً لضرورة دين أو متنافراً مع بديهة العقل الرشيد، الأمر الذي يكفي بنفسه شاهد صدق على صحة الحديث أياً كان الإسناد**"(٣٤).

ويبدو أن المشكلة التي تواجه الباحث هي قلة مرويات أسباب النزول والمتصلة بالإسناد لغرض التحقيق من صحة هذا الإسناد، وأن المحققين القدامى قد التفتوا إلى هذه الملاحظة، ولذلك عمد السيوطي في كتابه الإتقان بأن يذكر في نهاية كتابه ما لا يبلغ على الثلاثمائة حديث

مرفوع، ما بين ضعيف وسقيم ومعضل، والباقي مرسل لا حجية فيه إطلاقاً، ويعلق على جهود الواحدي قائلاً: "**وهذا الواحدي عمد إلى جمع الشوارد من أسباب النزول، فلم يمكنه التحرز عن الضعاف والمجاهيل وما لا حجية فيه، فمثلاً يروي كثيراً عن ابن عباس عن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فأن أنضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير**"[٣٥]، **فهي سلسلة الكذب وكثيراً ما يخرج منها الثعلبي والواحدي**"[٣٦].

ومن أجل معرفة مستويات المشافهة في أسباب علم النزول، فيتطلب "**أولاً، مستوى الإسناد: ذلك أن قيام أسباب النزول على الإسناد علامة بارزة من علامات حضور الشفوي في المكتوب، فالسبيل الذي ارتضاه القدامى للتحقق من صحة أخبار أسباب النزول هو تعويلهم على الإسناد والنظر في تختلف الحلقات التي تكونه وفي ضروب الاتصال والانقطاع عليها، وثانياً: مستوى المتن: وفيه تبرز مظاهر عديدة دالة على أثار المشافهة في الأخبار المدونة، من قبيل تعدد روايات سبب نزول الآية نفسها، وقد سلك الطبري في تفسيره هذه الطريقة بشكل لافت للانتباه**"[٣٧].

وفي هذا الصدد، يؤكد الزركشي بالقول: "**يجب الحذر من الضعيف والموضوع فأنه كثير، وفلان ليس أصول –أولاً أصل لها– المغازي والملاحم والتفسير**"[٣٨].

ولذلك ذهب الباحثون القدامى إلى التدقيق في الحيثيات للآيات القرآنية، ودراسة سند هذه الحيثيات لغرض بيان تفسير هذه الآية أو تلك، وينبع ذلك من خلال حرصهم على سلامة تفسير النصوص القرآنية المباركة، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فأن السيوطي يعلق على الآية القرآنية ﴿**وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**﴾[٣٩]، بأن الواحدي والثعلبي عن طريق السدي الصغير: قال نزلت هذه الآية في (عبد الله بن أُبي وأصحابه)[٤٠]، ويضيف بأن هذا الإسناد واه جداً، فأن السندي الصغير كذاب وكذا الكلبي[٤١].

وبين السيوطي بأن قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا**﴾[٤٢]، قال: أخرج الواحدي من طريق (عبد الغني بن سعيد الثقفي)[٤٣].. وهو واه، جداً[٤٤].

وقوله: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ**﴾[٤٥]، نزلت رداً على اليهود في تعييرهم تحويل القبلة، فقال السيوطي: ما ورد من الروايات في هذا المعنى إسنادها والمعنى يساعده أيضاً[٤٦].

سادساً: تاريخية (الزمان- المكان) في أسباب النزول:

هنالك دراسات متعددة تم التطرق إليها من قبل الباحثين في أسباب نزول الآيات القرآنية، ويكون ذلك تبعاً لتاريخية الزمان والمكان المعنيين بالأمر، ومن المتعارف عليه أن الجوانب التاريخية تعتهد في الأساس على الزمان والمكان والإنسان، ومنها على سبيل المثال: أن نزول الوحي على الرسول محمد (ص)، بالرسالة، كان يوم الاثنين، وهذا ما أجمع عليه السواد الأعظم من المسلمين، ولكن هنالك من قال بأن القرآن قد نزل لثماني عشرة خلت من رمضان، وقال آخرون: لأربع وعشرين خلت منه، وقال آخرون: لسبع عشرة خلت من شهر رمضان واستشهدوا لذلك بقوله تعالى: ﴿**وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ**﴾[٤٧]، وكان ذلك في معركة بدر المصادف السابع عشرة من رمضان[٤٨].

وترتب على ذلك أن ترتيب سور القرآن حسب نزولها هو معرفة تاريخها، ورغم العودة إلى علوم إسلامية للظفر منها بذاك التاريخ، فأن التمكن منه كان جزئياً لأسباب عديدة منها أن تلك العلوم نفسها وجدت لاحقاً بعد تشكل النص الديني واستقرار مادته على هيئة معينة. ومنها أيضاً اختلاف الأخبار المبينة لتاريخ نزول بعض سور القرآن، مما أفضى إلى قيام علم من علوم القرآن هو (معرفة المكي والمدني)[٤٩]، وحسبنا شاهداً على ذلك أقوال القدامى في سورة التوبة، والمعدودة عندهم من الوحي المدني، وقد أخترنا هذه السورة بالذات لتعدد مواطن النسخ فيها. فقد ذكر منها النحاس[٥٠] وابن العربي[٥١] تسع آيات، وفضلاً عن ذلك فأن عدد الآيات التي لها أسباب نزول في هذه السورة قد بلغ (٢٩) آية عند الواحدي[٥٢]، و(٣٥) آية لدى السيوطي[٥٣]، ونوجز مختلف الأقوال في تاريخ السورة المذكورة على النحو الآتي:

١- نزولها في أول شهر شوال سنة تسع هجرية[٥٤].
٢- نزولها في ذي الحجة سنة تسع هجرية[٥٥].
٣- نزولها بعد فتح مكة (رمضان ٨هـ)[٥٦].
٤- نزولها بعد سورة البقرة بسنتين[٥٧].
٥- نزولها بعد غزوة تبوك في رجب سنة ٩هـ[٥٨].
٦- نزولها بعد فتح مكة ودخول قريش للإسلام[٥٩].

وهذا يعني بأن هنالك وجود لتواريخ متقاربة حيناً ومتباعدة حيناً آخر، والذي دعى المفسرين وعلماء القرآن إلى ذكر تاريخ السورة ما تضمنته من أحكام ناسخة لأحكام أخرى، وردت في بعض السور النازلة قبلها. ولذلك عادة ما يأتي إثباتهم للتأريخ أثناء التفسير لا في بدايته، فالنحاس مثلاً يذكر تاريخ نزول سورة التوبة بمناسبة تفسيره للآية (١٩١) من سورة البقرة، وكذا الأمر مع القرطبي، وإزاء هذا الاختلاف في ضبط تاريخ النزول أبدى ابن العربي احترازاً من القول بالنسخ في بعض سور المصحف، فلم يسكت عن المشكل، بل بنى إليه قائلاً: "**واختلف الناس في المائدة وبراءة أي السورتين نزلت قبل صاحبتها، وعلى هذا إذا جهلنا التاريخ أو لم نقطع به لم يصح الكلام في النسخ**[٦٠]"[٦١] .

وأن كتب التاريخ والسير، قد بينت لنا بأن الرسول محمد (ص)، قد بعث بعد أن استكمل الأربعين[٦٢]، وكذلك فأن مبعثه صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث به في شهر ربيع الأول، وقيل في رمضان، وأتاه جبرائيل ليلة السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين[٦٣] في حراء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان[٦٤].

وهنالك ترتيب تاريخي للآيات القرآنية، وشدد العلماء المتخصصون بأن ترتيب الآيات داخل السور توقيفي، ونزلوا هذا الموقف منزلة إجماع الأمة الإسلامية عليه[٦٥]، وساد الاعتقاد بأن الآية وأن كانت نازلة على ترتيب غير الذي هو مكتوب، ولكن الترتيب المكتوب عليه القرآن بأمر الله، فأنه بأمر الرسول كتب ذلك، وأمر الرسول من أمر الله، وذلك متحقق من سنن الترتيب الذي فيه[٦٦].

وعليه فأن يمكن القول بأن ترتيب الآيات داخل السور يراعي أكثر ما يراعي، في رأي القدامى، مبدأ التناسب بين الآيات، حتى أنهم أوجدوا علماً من علوم القرآن سموه (معرفة المناسبات بين الآيات)[٦٧]، وتقوم فكرة ذلك بارتباط الآيات بعضها ببعض عطفاً ومضادة واستطراداً وتمثيلاً...الخ، ويعني ذلك أن ترتيب الآيات في المصحف العثماني ترتيب غير تاريخي داخل السورة الواحدة، وجاز عندئذ اندراج آية مدنية أو أكثر في سورة نزلت بمكة، والعكس متحقق، وكذلك تقديم الناسخ على المنسوخ تلاوة، وأشهر مثال في هذا الباب اعتبار الآية (٢٣٤) من سورة البقرة ناسخة للآية (٢٤٠) من السورة نفسها، وبرر القدامى هذه الظاهرة بأن التقدم في التلاوة لا يمنع التأخر في النزول[٦٨] [٦٩].

ويتطرق الرازي في تفسيره مبيناً بأن معظم الآيات القرآنية تتطرق إلى مواضيع التوحيد والنبوة والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين، وهي أكثر من آيات الأحكام(٧٠).

فضلاً عن ذلك فأن آيات الأحكام كلها والمذكورة في القرآن الكريم ليس لها أسباب النزول، وهذا يعني بداهة أن أحكاماً قرآنية عديدة نزلت ابتداءً دون سبب تاريخي مباشر، وهو ما يطعن في الأطروحة القائلة بأن آيات الأحكام دون استثناء نزلت لأسباب(٧١).

ويمكن بيان الجوانب التاريخية في شقيها الزماني والمكاني، لنزول الآيات القرآنية المباركة وفق ما يأتي:

١- **أماكن نزول الآيات القرآنية:** تناولت كتب العلوم القرآنية، أبرز الأماكن لنزول الآيات القرآنية على الرسول محمد (ص)، فمنه "**ما نزل بمكة وهو الأغلب والأعم، ومنه ما نزل بالمدينة وهو كثير، ومنه ما نزل بغيرهما كالجحفة(٧٢)، والطائف، وبيت المقدس، والحديبية(٧٣)، ومنى، وعرفات(٧٤)، وعسفان(٧٥)، وتبوك(٧٦)، وبدر(٧٧)، وأُحد(٧٨)، وذات الرقاع(٧٩)، وحمراء الأسد(٨٠)، وغدير خم(٨١)، والبيداء، وبني المصطلق، وبطن نخله(٨٢)، بكراع العميم(٨٣)، وبين مكة والمدينة، وفي السماء، وعند سدرة المنتهى(٨٤)**"(٨٥).

٢- **أماكن نزول الآيات المكية:** هنالك ثلاثة مقاييس لمعرفة نزول الآيات المكية والمدنية، (الأول/ المكاني: فالمكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة، الثاني/ الزماني: إذ المكي هو ما نزل قبل الهجرة وأن بالمدينة. أما المدني فهو ما نزل بعد الهجرة وأن كان، بمكة الثالث/ متعلق بمقام القول: فالمكي يخص الآيات التي يأتي منها الخطاب موجهاً إلى أهل مكة، والمدني ما كان خطاباً لأهل المدينة(٨٦).

أن معرفة مكان ونزول الآيات القرآنية، والتي سميت بالآيات المكية والمدنية، قد أفضى تحت هذا العلم نحو خمسة وعشرين نوعاً، وقيل: بأن الآيات القرآنية التي نزلت بالمدينة هي سبع وعشرون سورة وسائرها بمكة(٨٧).

ويضيف السيوطي في الاتقان، "**بأنه لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي وقياسي. فالسماعي: ما وصل إلينا نزوله. والقياسي: كل سورة فيها (يا أيها الذين...) فقط، أو كل**

سورة أولها حرف تهجٍ، أو فيها قصة آدم وأبس سوى (البقرة) فهي مكية. وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية"[٨٨].

٣- **أماكن نزول الآيات الأرضية والسماوية:** وهنالك الآيات القرآنية السماوية والأرضية، وما نزل بين السماء والأرض، وما نزل تحت الأرض في الغار، وأخبرنا هبة الله المفسر[٨٩]، بأنه قال: نزل القرآن بين مكة والمدينة إلا ست آيات لا في الأرض ولا في السماء ثلاث في سورة (الصافات): ﴿**وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤**﴾، الآيات الثلاث (١٦٤-١٦٦)، وواحدة في الزخرف: ﴿**وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ**﴾ [الآية:٤٥]، والآيتان من آخر سورة البقرة هما الآيتان (٢٨٥، ٢٨٦) نزلت ليلة المعراج[٩٠].

٤- **نزول الآيات النهاية والليلية:** هنالك من الناحية الزمنية، فأن "**الآيات القرآنية أكثرها أُنزل نهاراً، وأما الليلي، فذكر ابن حبيب**[٩١] **فمنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ إلى آخر سورة آل عمران: (١٩٠-٢٠٠)**"[٩٢].

٥- **الجوانب التاريخية الأخرى لنزول الآيات:** وهنالك جوانب تاريخية أخرى في الزمان والمكان لنزول الآيات القرآنية، ومنها ما هو فراشي، مثل قوله تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ**﴾ [المائدة: ٦٧]، وآية الثلاثة الذين خلفوا عن رسول الله (ص) في غزوة تبوك، ففي الصحيح أنها نزلت وقد بقي من الليل ثلثه، وهو صلوات الله عليه عند أم سلمة، أما النومي: فمن أمثلته سورة الكوثر بينما كان رسول الله (ص) ذات يوم إذ غفى ثم رفع رأسه مبتسماً، فقالوا له: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: "**أنزل عليَّ آنفاً سورة**"، فقرأ: ﴿**بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ٣**﴾[٩٣].

وهنالك ما ينزل الشي لمرتين تعظيماً لشأنه، وتذكيراً عند حدوث سببه خوف نسيانه، وهنالك من يرى بأن نزول سورة الفاتحة مرتين، فأن قيل: ما فائدة نزولها مرة ثانية؟ قيل: يجوز أن يكون نزلت أو مرة على حرف واحد، ونزلت في الثاني بحرف آخر، نحو (مَلَك)، (مَالِكْ) و(السراط) و(الصراط)، ونحو ذلك، وهنالك أيضاً من ينكر بأن القرآن تكرر نزوله، وهنالك من يرى بأن القرآن نزل مفرقاً وأحياناً مجتمعاً، والغالب عندهم أن القرآن نزل مفرقاً على مقتضى الوقائع

التاريخية لأسباب النزول، وأما ما نزل جمعاً، فمن ذلك: سورة الفاتحة، والإخلاص، والكوثر، وتبت يدا، لم يكن، النصر، المعوذتين، المرسلات، الصف، الأنعام(٩٤).

سابعاً: تاريخية السيرة النبوية ونزول آيات القرآن الكريم:

هنالك جوانب وصور متعددة لعلاقة الصحابة مع الرسول محمد (ص)، وقد نزلت بعض الآيات القرآنية حول تلك السيرة وعلى وجه الخصوص في مسائل العبادات، وقد تعرضت كتب علوم القرآن إلى هذه الأحداث في سيرة النبوية، ففي جانب الصلاة وتأديتها، وكان بعض الصحابة لا يعطي قيمة حقيقية للصلاة، ولذلك نزلت الآية (٤٣) من سورة النساء، فهذه الآية "**نزلت في أناس من أصحاب رسول الله (ص)، كانوا يشربون الخمر ويحضرون الصلاة وهم نشاوى، فلا يدركون كم يصلون ولا ما يقولون في صلاتهم، وكذلك الأمر نفسه مع عبد الرحمن بن عوف (ت٣٢هـ/٦٥٢م)، حينما أراد أن يصلي ببعض الصحابة صلاة المغرب وهو سكران، فاختلط عليه الأمر وعجز عن إقامة بسورة الكافرون**"(٩٥).

وفي ميدان الصيام في رمضان، فأن بعض الصحابة لم يلتزم ببعض الأمور الشرعية آنذاك، ومنها ذلك الحكم الذي كان يحرم على الصحابة مس النساء والأكل والشرب بعد صلاة العشاء في رمضان. ولكن يبدو أن من كبار الصحابة من لم يلتزم بهذا الحكم، ولم يَرَ في الإخلال به ارتباكاً لمحظور يُعاقب عليه. وحسبنا ما ترويه الروايات التاريخية بأن نزول الآية القرآنية ١٨٧ من سورة البقرة، حيث "**كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فأمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد، فرجع عمر من عند النبي (ص) وقد سمر عنده، فأراد امرأته فقالت: أني قد نمت. قال: ما نمت ووقع عليها...**"(٩٦)، وجلي من هذا الخبر أن عمر بن الخطاب خرق سلوكاً متبعاً في صوم رمضان، ولذلك لم يعر اهتماماً بقول امرأته له: أني قد نمتُ)، وأن أعرب في ما بعد عن ندمه فاعترف بذنبه للرسول محمد (ص)(٩٧).

أما بخصوص الآية القرآنية: ﴿**وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ**﴾(٩٨)، فأن هذه الآية نزلت عندما قام نفر من الصحابة بترك خطبة يوم الجمعة للرسول محمد (ص) بسبب قدوم قافلة تجارية قادمة من المدينة(٩٩).

وفي موضوع الغزوات والمعارك التي خاضها الرسول محمد (ص)، فقد ورد في السيرة أن العباس بن عبد المطلب عم الرسول (ص) قد وقع في الأسر في يوم معركة بدر، وأن مبتغاه في إطعام الناس من قريش لم تتحقق، ولذلك نزلت الآية (٧٠) من سورة الأنفال، وهنالك من يعتقد أن العباس لم يسلم يوم بدر، والدليل على ذلك خروجه مع قريش يوم أحد[١٠٠]، ويظهر لنا أن العباس لم يعترف بمحمد رسولاً إلا يوم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة حينما أدرك جيداً أن زمام الأمور أصبح بيد الرسول محمد (ص)[١٠١].

وكذلك فأن نزول الآية: ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرُۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْۚ**﴾[١٠٢]، من أنها نزلت على سرية عبد الله بن جحش[١٠٣] في رجب بعد سنة سبعة عشر شهراً من الهجرة والمعروفة بوقعة نخلة[١٠٤].

ونزلت الآية القرآنية ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ**﴾[١٠٥]، وكانت ذلك بسبب مشادة كلامية بين أبي بكر وعمر[١٠٦].

الخاتمة

يتضح لنا من خلال هذا البحث بأن هنالك علوم متداخلة في تفسير القرآن الكريم، والذي يعد العمل به والخوض في تفسير آياته من الأمور الصعبة، والتي تحتاج إلى الدقة والأمانة والموضوعية لأن المفسر يتعامل في توضيح وشرح كلام الله عز وجل، ولذلك تم تأسيس علم القرآن الكريم والذي يعد الركيزة الأولى والمهمة في التفسير القرآني، ومن أبرز علوم القرآن هو علم أسباب نزول الآيات القرآنية، وأن الجوانب التاريخية في السيرة النبوية لهي الأساس المهم في بيان تفسير تلك الآيات، وذلك يتطلب الرجوع إلى الحوادث التاريخية في جميع جوانبها وتداعياتها لغرض بيان تفسير تلك الآيات وأسباب نزولها، ولهذا فأن الدراسة والتحقيق في متون المرويات التاريخية للسيرة النبوية لهي الأساس المهم في بيان أسباب النزول والتي تعطينا صورة واضحة وأمينة للتفسير القرآني.

الهوامش

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج١٤، ص٢٣٨.

(٢) الجمل، بسام، أسباب النزول، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥، من مقدمة الكتاب للدكتور عبد المجيد الشرفي، ص٨.

(٣) م. ن، ص٨٠.

(٤) الخوئي، السيد القاسم، البيان في تفسير القرآن، تحقيق: السيد جعفر الحسني، ط٦، دار الثقلين للنشر، ٢٠٠٨، ص٦٨.

(٥) معرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١١، ج١، ص٢٥٦.

(٦) الجمل، أسباب النزول، ص٢٣٨.

(٧) هو العلامة الإمام الإخباري، أبو بكر، محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام المحولي البغدادي الآجري، صاحب التصانيف، ومن تأليفه (الحادي في علوم القرآن)، وكتاب في (الحماسة) وكتاب (المتيمين) وكتاب (أخبار الشعراء) وغير ذلك، وكان صدوقاً / ينظر: الذهبي، الأمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، سير أعلام النبلاء، إشراف وتحقيق: شعيب الأرنؤوط، أكرم البوشي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣، ج١٤، ص٢٦٥.

(٨) ينظر: ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، كتاب الفهرست، دار المعرفة، بيروت، بدون سنة، ص٣٥٥.

(٩) الجمل، أسباب النزول، ص٨٤.

(١٠) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي، صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل، من أولاد التجار، وأصله من ساوه، مصنف التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز، ولأبي الحسن كتاب (أسباب النزول)، مات نيسابور في جمادي الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة وقد شاخ/ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٣٤٠.

(١١) ينظر: الجمل، أسباب النزول، ص(٦١، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٨٢).

(١٢) هو عبيد بن شريه الجرهمي (ت٦٧هـ/٦٨٦م)، من أقدم مؤرخي العرب، أهتم بتاريخ اليمن وألف كتاب حول ملوكها وأخبارها / ينظر: ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون سنة، ج٣، ص٥٣٦.

(١٣) هو وهب بن منبه بن كامل بن سيبح بن ذي كبار (ت١١٤هـ/٧٣٢م)، تابعي جليل، له معرفة بكتب الأوائل وإخباري قصص يعد أقدم من كتب في الإسلام، ينسب إليه كتاب التيجان في ملوك حمير، وقد اعتمد عليه ابن قتيبة في كتاب (المعارف) والطبري في كتابه (تاريخ الرسل والملوك) والمقدسي في كتابه (البدء

والتاريخ) وأحمد بن محمد الثعلبي في كتابه (عرائس المجالس في قصص الأنبياء) / ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٥٤٥.

(١٤) أسباب النزول، ص(٥٢، ٥٤).

(١٥) تم ترجمة الواحدي في الهامش رقم (١٠).

(١٦) الزركشي، هو أبو عبد الله، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله، ففيه شافعي أصولي ومحدث، وله مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم، ولد في القاهرة، وتوفي سنة (٧٩٤هـ/١٣٩١م)، ومن أبرز مؤلفاته، كتاب (البرهان في علوم القرآن) / ينظر: القاضي ابن شهبة الدمشقي، أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد (ت٨٥١هـ/١٤٤٨م)، طبقات الشافعية، تصحيح: د. عبد العليم خان، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، ١٩٧٨، ج١، ص١٨٣.

(١٧) السيوطي، هو جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، أمام حافظ ومفسر، ومؤرخ، وأديب، وفقيه شافعي، ولد في القاهرة، وله مصنفات كثيرة، ومن أبرزها (الاتقان في علوم القرآن) و(لباب النقول في أسباب النزول)، وتوفي في القاهرة سنة (٩١١هـ/١٥٠٥م) / ينظر: ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٩م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦، ج٧، ص٣٠٣.

(١٨) الواحدي، أسباب النزول، ص١٠.

(١٩) السيوطي، أسباب النزول (لباب النقول في أسباب النزول)، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ٢٠٠٢، ص١٢٦.

(٢٠) ينظر: ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠، ج١١، ص١٦٥.

(٢١) الجمل، أسباب النزول، ص(٩٨-٩٩).

(٢٢) أيازي، محمد علي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ط١، طهران، ج١، ص٣٤٩.

(٢٣) الجمل، أسباب النزول، ص(١٠٠-١٠١).

(٢٤) م. ن، ص١٠٢.

(٢٥) الذهبي، د. محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار الحديث، القاهرة، ٢٠١٢، ج٢، ص٤٠٢.

(٢٦) أيازي، المفسرون، ج١، ص٢٩٥.

(٢٧) هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت٢١٨هـ/٨٣٤م)، يروي السيرة النبوية عن ابن إسحاق، وقد أجرى ابن هشام بعض التعديلات إضافةً وحذفاً على السيرة النبوية لابن إسحاق / ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٢٩.

(٢٨) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٥، ج١ (ص٣٩٤-٣٩٥)، ج٢ (ص١٣٣-١٤٠)، الجمل، أسباب النزول، ص(١١١-١١٣).

(٢٩) ابن سعد: هو محمد بن سعد بن منيع، ولد في البصرة، مؤرخ ومحدث، ومن أبرز وأهم مصنفاته كتاب (الطبقات) والمعروف (بالطبقات الكبرى)، توفي ببغداد سنة (٢٣٠هـ/٨٤٥م) / ينظر: الخطيب البغدادي،

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م)، تاريخ بغداد (مدينة السلام)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١، ج٥، ص٣٢١.

(٣٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤، ج١، ص٣٦٣ / الجمل، أسباب النزول، ص(١١٣-١١٤).

(٣١) هو محمد بن جرير بن يزيد المعروف بالإمام أبو جعفر الطبري، مفسر ومؤرخ وفقيه، ولقب بإمام المفسرين، ومن أبرز مصنفاته: جامع البيان في تفسير القرآن، وتاريخ الرسل والملوك (ت٣١٠هـ/٩٢٣م) / ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣، ج١٨، ص٤٩.

(٣٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، بدون سنة، ج٢، ص٢٩٨.

(٣٣) م.ن، ج٣، ص٢٠٣ / الجمل، أسباب النزول، ص١١٦.

(٣٤) معرفة، التمهيد لعلوم القرآن، ج١، ص٢٥٩.

(٣٥) هو محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الرحمن، يعرف بالسدي، من أهل الكوفة، مفسر ومحدث، وهو ليس بشيء، وليس ثقة، وهو ضعيف / ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤، ص٦٠.

(٣٦) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ٢٠٠٨، ج٤، ص٢٠٩.

(٣٧) الجمل، أسباب النزول، ص(٦٥-٦٦).

(٣٨) الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله محمد (ت٧٩٤هـ/١٣٩٢م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: د. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ج٢، ص١٥٦.

(٣٩) سورة البقرة، الآية ١٤.

(٤٠) عبد الله بن أبي بن سلول، أحد قادة رؤساء الخزرج من يثرب، وكانت شخصية معادية للمسلمين، ولقبه المسلمون بكبير المنافقين، وقيل أنه على وشك أن يكون سيد يثرب قبل أن يصلها الرسول محمد (ص)، توفي سنة (٩هـ/٦٣١م) / ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٣٢٢.

(٤١) الاتقان، ج٤، ص٢٠٩.

(٤٢) سورة البقرة، الآية ٢٦.

(٤٣) هو أحد المحدثين، ضعيف السند والرواية / ينظر: الذهبي، المغني في الضعفاء، تحقيق: نور الدين عتر، إدارة إحياء التراث، قطر، ٢٠٠٩، ج٢، ص٤.

(٤٤) لباب النقول، ج١، ص١١.

(٤٥) البقرة، الآية ١١٥.

(٤٦) لباب النقول، ج١، ص٢٤.

(٤٧) سورة الأنفال، الآية ٤١.

(٤٨) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص(٢٩٣-٢٩٤).

(٤٩) الزركشي، البرهان، ج١، ص(١٨٧-٢٠٥).

(٥٠) النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت٣٣٨هـ/٩٤٩م)، الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك، تحقيق: د. سليمان بن إبراهيم، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٩، ص١٥٢.

(٥١) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م)، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الكبير العلوي المدغري، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٢، ص١٣٩.

(٥٢) الواحدي، أسباب النزول، ص٢٤٦.

(٥٣) لباب النقول، ص٢٢١.

(٥٤) الطبري، تفسير الطبري، ج٦، ص(٣٠٢-٣٠٤).

(٥٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص١٩٩.

(٥٦) الرازي، تفسير الرازي، ج١٥، ص٢٣٦.

(٥٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص٢٣٤.

(٥٨) م. ن، ج٨، ص٤٠.

(٥٩) الطبري، تفسير الطبري، ج٤، ص٢٠.

(٦٠) النحاس، الناسخ والمنسوخ، ص١١٣.

(٦١) الجمل، أسباب النزول، ص(٣١٤-٣١٦).

(٦٢) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧، ج١، ص(٢٩-٣٠).

(٦٣) اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت بعد ٢٩٢هـ/٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي، دار صاد، بيروت، بدون سنة، ج٢، ص (١٧-١٨).

(٦٤) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص١٢٩.

(٦٥) السيوطي، الاتقان، ج١، ص١٧٢.

(٦٦) الرازي، فخر الدين (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، التفسير الكبير، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة، ج٢٥، ص١٥٧.

(٦٧) الزكشي، البرهان، ج١، ص٣٥.

(٦٨) الرازي، تفسير الرازي، ج٢٦، ص١٢٨.

(٦٩) الجمل، أسباب النزول، ص٣١٩.

(٧٠) ينظر: ج٢، ص٨٨.

(٧١) الجمل، أسباب النزول، ص١٦٢.

(٧٢) الجحفة: بالضم ثم السكون، وهي قرية على طريق المدنية، وهي ميقات أهل مصر والشام، وكان اسمها (مهيعة)، سميت الجحفة لأن السيل اجتحفها / ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، بدون سنة، ج٢، ص١١١.

(٧٣) الحديبية: موضع بين جدة ومكة وسميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله (ص) تحتها / ينظر: م.ن ، ج٢، ص٢٢٩.

(٧٤) عرفات: قرية نزلها الحجاج يوم عرفة، وحدها من الجبل المشرق على بطن عُرَنه إلى جبال عرفة/ ينظر: م. ن، ج٢٤، ص١٠٤.

(٧٥) عسفان: هي منطقة بين المسجدين وهي من مكة على مرحلتين، وكيل: عسفان قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع / ينظر: م. ن، ج٢٤، ص١٢٢.

(٧٦) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي (ص)، وتوجه النبي (ص) في سنة تسع للهجرة إليها من أرض الشام، وهي آخر غزواته/ ينظر: م.ن، ج٢، ص١٤.

(٧٧) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة / م.ن، ج١، ص٣٥٧.

(٧٨) أحد: اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد التي قتل فيها حمزة عم النبي (ص)/ ينظر: م.ن، ج١، ص١٠٩.

(٧٩) ذات الرقاع: هي غزوة للرسول محمد (ص)، كانت في المحرم سنة خمس من الهجرة، وسميت بذات الرقاع، لأن الجبل الذي سميت به ذات الرقاع جبل به سواء وبياض وحمرة، فسميت الغزوة بذلك الجبل/ ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص٥٥٦.

(٨٠) حمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة، انتهى إليه رسول الله (ص)، يوم أحد في طلب المشركين / ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٠١.

(٨١) غدير خم: هو واد بين مكة والمدينة به غدير، بينه وبين الجحفة ميلان / ينظر: م.ن، ج٢، ص٣٨٩.

(٨٢) بطن نخل: منزل من منازل بني ثعلبة في المدينة على مرحلتين، وقيل موضع بنجد من أرض غطفان/ ينظر: م.ن، ج٥، ص٢٧٦.

(٨٣) بكراع الغميم: ماء بين عُسفان وضجنان، وهو منزل من منازل بني عبس بين رابغ والجحفة / ينظر: م.ن، ج٤، ص٢١٤.

(٨٤) سدرة المنتهى: المشهور أن السدرة شجرة في السماء السابع وعليها مثل النبق وقيل في السماء السادسة/ ينظر: الرازي، تفسير الرازي، ج٢٨، ص٢٤٤.

(٨٥) المكي، ابن عقيلة (ت١١٥٠هـ/١٧٣٨م)، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ط١، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة، ٢٠٠٦، ج١، ص(٢٤٨-٢٤٩).

(٨٦) الجمل، أسباب النزول، ص٢١٠.

(٨٧) ابن عقيلة، الزيادة والإحسان، ج١، ص٢٠٦.

(٨٨) ج١، ص٨٧.

(٨٩) هو: هبة الله بن سلامة بن نصر البغدادي، المفسر النحوي، المقرئ الضرير، وكان أحفظ أهل زمانه لتفسير القرآن، توفي سنة (٤١٠هـ/١٠١٩م)، الحنبلي، عبد الحي بن أحمد ابن العماد (ت١٠٨٧٩هـ/١٦٧٩م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦، ج٣، ص١٩٢.

(٩٠) ابن عقيلة، الزيادة والإحسان، ج١، ص٢٦٠.

(٩١) ابن حبيب: هو الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب أبو القاسم النيسابوري، المفسر الواعظ، صنف في التفسير والأدب، توفي سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م)/ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٢٣٧.

(٩٢) ابن عقيلة، الزيادة والإحسان، ج١، ص٢٦٤.
(٩٣) م. ن، ج١، ص(٢٨٤-٢٨٨).
(٩٤) م. ن، ج١، ص(٣٢٨-٣٤٢).
(٩٥) الواحدي، أسباب النزول، ص١٥٧.
(٩٦) السيوطي، لباب النقول، ص٥١.
(٩٧) الجمل، أسباب النزول، ص٤٣٦.
(٩٨) سورة الجمعة، الآية (١١).
(٩٩) الطبرسي، مجمع البيان، ج٧، ص٧.
(١٠٠) القرطبي، تفسير القرطبي، ج٨، ص٣٣.
(١٠١) الجمل، أسباب النزول، ص٤١٨.
(١٠٢) البقرة: ٢١٧.
(١٠٣) هو عبد الله بن جحش (ت٣هـ/٦٢٤م)، صحابي بدري من السابقين إلى الإسلام، ومن المهاجرين، وهو ابن عمة النبي محمد (ص)، هاجر إلى الحبشة ثم إلى يثرب، وشارك في غزوة بدر، واستشهد في غزوة أحد/ ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج١٠، ص٩٤.
(١٠٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٤١٤.
(١٠٥) سورة الأحزاب، الآية ١١.
(١٠٦) الواحدي، أسباب النزول، ص٤٠٩.

المصادر والمراجع

أولاً. القرآن الكريم.

ثانياً. المصادر العربية:

- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسين الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون سنة.

٢- الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

- الحنبلي، عبد الحي بن أحمد ابن العماد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٩م):

٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦.

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م):

٤- تاريخ بغداد (مدينة السلام)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١:
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م):
٥- سير أعلام النبلاء، إشراف وتحقيق: شعيب الأرناؤوط، أكرم البوشي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣.
- الرازي، فخر الدين (٦٠٦هـ/١٢٠٩م):
٦- التفسير الكبير، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة.
٧- المغني في الفضاء، تحقيق: نور الدين عز، إدارة إحياء التراث، قطر، ٢٠٠٩.
- الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله محمد (ت٧٩٤هـ/١٣٩٢م):
٨- البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨.
- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن ابن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م):
٩- الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، نشرون، دمشق، ص٢٠٠٨.
١٠- أسباب النزول (لباب النقول في أسباب النزول)، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ٢٠٠٢.
- ابن سعد، محمد بن سعيد بن منيع (ت٢٣٠هـ/٨٤٥م):
١١- الطبقات الكبرى، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.
- ابن شهبة الدمشقي، أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد (ت٨٥١هـ/١٤٤٨م):
١٢- طبقات الشافعية، تصحيح: د. عبد العليم خان، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٧٨.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت٣١٠هـ/٩٢٣م):
١٣- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، بدون سنة.
- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م):
١٤- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الكبير العلوي المدغري، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٢.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٩م):

١٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦م.

- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت٧٧٤هت/١٣٧٢م):

١٦- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠.

- المكي، ابن عقيلة (ت١١٥٠هـ/١٧٣٨م):

١٧- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ط١، مركز البحوث والدراسات في جامعة الشارقة، ٢٠٠٦.

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل (ت٧١١هـ/١٣١١م):

١٨- لسان العرب، دار صادر، بيروت، بدون سنة.

- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت٣٣٨هـ/٩٤٩م):

١٩- الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك، تحقيق: د. سليمان بن إبراهيم، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٩.

- ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م):

٢٠- الفهرست، دار المعرفة، بيروت، بدون سنة.

- ابن هشام، أبو محمد بن عبد الملك (ت٢١٨هـ/٨٣٤م):

٢١- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٥.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م):

٢٢- معجم الأدباء (أرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣.

٢٣- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، بدون سنة.

- اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت بعد٢٩٢هـ/٩٠٤م):

٢٤- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، بدون سنة.

ثالثاً. **المراجع العربية:**

- أيازي، محمد علي:

١- المفسرون، حياتهم ومنهجهم، ط١، طهران.

- الجمل، بسام،

٢- أسباب النزول، ط١، المركز

- الخوئي، السيد أبو القاسم:
٣- البيان في تفسير القرآن، تحقيق: السيد جعفر الحسني، ط٦، دار الثقلين للنشر، ٢٠٠٨.
- الذهبي، د. محمد حسين:
٤- التفسير والمفسرون، دار الحديث، القاهرة، ٢٠١٢.
- معرفة، محمد هادي:
٥- التمهيد في علوم القرآن، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.